

ضم القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود

- رحمه الله - عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)

(دراسة تاريخية)

الباحثة: صافيه مشيب آل هويدي

ملخص البحث:

تبحث هذه الدراسة في الأحداث التاريخية الفعلية لضم بلاد القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود -طيب الله ثراه- في الفترة الزمنية عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) وإيضاح نبذة سياسية عن ما سبق ذلك من أحداث ومعاهدات، وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يقوم بجمع المعلومات والروايات التاريخية من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع وتحليلها بشكل موضوعي بما يخدم موضوع الدراسة، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المواقع الجيوستراتيجية للقنفذة، وكذلك التعرف إلى التاريخ السياسي لضم القنفذة إلى متصرفية عسير عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، ومن ثم فصلها عن عسير في عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م)، وإعادتها إلى تبعية ولاية مكة المكرمة، وكذلك التعرف على الجانب السياسي التاريخي للقنفذة بشكل مبسط في عهد الأتراك والأشراف والعسيريين والقوى الإدارية والاطلاع على معاهدة الإدارة عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) ومعاهدة مكة عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) مع الملك عبدالعزيز. واستجابة لمتطلبات البحث، فقد تم تقسيمه إلى فصلين: تناول الفصل الأول الأهمية الجيوستراتيجية للقنفذة من حيث الموقع ولأهمية الاقتصادية والعسكرية، كذلك سيتطرق الفصل عن القنفذة بين التبعية لبلاد عسير وتبعيةها لمكة المكرمة ثم القنفذة بين متصرف عسير ومحمد الإدريسي، وأما الفصل الثاني، فسوف يتحدث انضمام القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله-، وتضمن البحث خاتمة تضمنت خلاصة لأهم نتائج الدراسة.

Research Abstract

This study specifically deals with the actual historical events of the annexation of Al-Qunfudhah under the rule of King Abdulaziz Al Saud. May God have mercy on him – in the time period (1343 AH / 1924 AD) with a clarification of the political view of previous events and treaties. The researcher adopted the historical analytical descriptive approach, which relies heavily on extracting information and historical narratives by referring to sources and references and analyzing them objectively to serve the subject of the study. This study deals with research in determining the geostrategic locations of Al-Qunfudhah in addition to identifying the political history of the annexation of Al-Qunfudhah to the Asir Governorate in (1289AH/1872 AD) and then separating it from Asir in the year (1313 AH), which was then returned to the subordination of the state of Makkah, and largely Enough, to get acquainted with the political and historical aspect of Qunfudhah simply during the era of the Turks, Al-Ashraf, Al-Asiris and Idrisids, as well as taking note of the Idarsah treaty in (1338 AH/1919 AD) and the treatment of Mecca in (1345 AH/1926 AD) under the rule of King Abdul Aziz. In the matter of responding to research requirements, it was dichotomous into two chapters. The first chapter dealt with the geopolitical importance of Al-Qunfudhah in terms of location, economic importance, and military power. This chapter will also discuss Al-Qunfudah between the subordination of Asir and then to Mecca, and then within the horizons of Al-Qunfudah between the Mutasarrif of Asir and Muhammad Al-Idrisi, and the second chapter will atone for the inclusion of the surah. Al-Qunfudah during the reign of King Abdulaziz Al Saud, may God have mercy on him, and in the end the research included a conclusion that included a summary of the most important results of the study and its appendices .

مقدمة

تعتبر القنفذة إحدى أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة حالياً، وقد بقيت القنفذة في القرون السابقة تتأرجح في إدارتها بين الأتراك والأشراف والعسيريين والقوى الإدريسية، ولم تستقر على حال واحد حتى ما اندرجت منطقة القنفذة بشكل مباشر بعد امتداد الحكم السعودي إلى كل من عسير (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) والحجاز (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، حيث أوجد الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - لها نظام إداري ومالي بعيد عما كانت تعاني من صراعات ونزاعات، وهذا ما سوف تلقي عليه الضوء الباحثة من خلال دراسة القنفذة عشية دخولها تحت حكم الملك عبدالعزيز في عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) بدراسة تاريخية وثائقية، وذلك تحت عنوان " ضم القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) " وفيما يلي نوضح ما يلي:

أسباب اختار الموضوع :

- ١- القنفذة أحد أهم مدن المملكة العربية السعودية سياسياً و اقتصادياً وتجارياً
- ٢- إظهار الأحداث التاريخية الفعلية التي سبقت ضم الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله للقنفذة .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على ما يلي :

- ١- ضم القنفذة إلى متصرفية عسير عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)
- ٢- فصل القنفذة عن عسير في عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) وإعادتها إلى تبعية ولاية مكة المكرمة.
- ٣- توضيح أحداث ضم القنفذة للملك عبدالعزيز آل سعود، لتصبح جزءاً من بلاد المملكة العربية السعودية يسودها النظام والاستقرار .

أهداف الدراسة:

- ١- التعرف على الجانب السياسي التاريخي للقنفذة بشكل مبسط في عهد الأتراك والأشراف والعسيريين والقوى الإدريسية.

٢- الاطلاع على معاهدة الأدارسة عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) ومعاهدة مكة عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) مع الملك عبدالعزيز .

مشكلة الدراسة :

قلة المصادر والمراجع التي كتبت عن القنفذة، فمازلت جهود الباحثين والمهتمين بتاريخ الحديث والمعاصر بعيدة عن بلاد القنفذة .

حدود الدراسة :

ركزت الدراسة على الفترة الزمنية الموجهة للباحثة من استاذ المقرر بدراسة القنفذة عشية دخولها تحت حكم الملك عبدالعزيز في عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) .

منهجية الدراسة :

ستقوم الباحثة بالاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي حيث يقوم بجمع المعلومات والروايات التاريخية من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع وتحليلها بشكل موضوعي بما يخدم موضوع الدراسة.

الدراسات السابقة :

١. النعمي: هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ن.ط، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

كتاب تاريخي يتناول تاريخ عسير الماضي والحاضر، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام تناول فيها الكاتب حالة الإقليم الجغرافية، وأهم مدنها وأشهر قبائله، وتناول كذلك أحوال أهله الاجتماعية وتقاليدهم الوطنية وعاداتهم القبلية وحالتهم السياسية. واستفادت الباحثة من هذا الكتاب معلومات ذكرت في التدخل التركي في القنفذة، وأيضاً الاتفاقات التي حدثت بين الإدريسي والملك عبدالعزيز - رحمه الله - .

٢. جريس: غيثان، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠-١٥هـ / ق ١٦-٢١م) دراسة تاريخية حضارية، ط١، مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

كتاب تاريخي يحتوي على دراسة تاريخية حضارية عن بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠- ١٥هـ / ق ١٦-٢١م)، وقد قسم الكتاب إلى ثمانية أقسام تناول فيها

الكاتب للقنفذة جغرافياً وبشرياً والأوضاع السياسية والإدارية في منطقة القنفذة خلال خمسة قرون، وكذلك القنفذة في عيون الرحالة المسلمين وغير المسلمين وفهرس وثائق وبحوث غير منشورة عن القنفذة في مكتبة الدكتور وتناول القنفذة، كما سمع عنها ورآها ثم خاتمة ومصادر ومراجع وملاحق.

واستفادت الباحثة من هذا الكتاب في التعرف على تاريخ بلاد القنفذة السياسي والحضاري، وأخذ صورة كافية عن موضع الدراسة .

تقسيمات الدراسة :

قسم البحث إلى ما يلي : مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وملحق.
يتناول الفصل الأول نبذة عن تاريخ القنفذة السياسي والأهمية التاريخية والسياسية للقنفذة، وسيتحدث عن القنفذة بين التبعية لبلاد عسير وتبعيةها لمكة المكرمة ثم القنفذة بين متصرف عسير ومحمد الإدريسي.

أما الفصل الثاني: فسوف يتحدث انضمام القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - .

تمهيد

تقع مدينة القنفذة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر، وكان يشكل موقعها قبل التوسعة العمرانية مثلثاً قاعدته على حافة الشاطئ ورأسه مفريقي وادي هارون المتفرع من وادي قنونا، وتبعد مدينة القنفذة عن مكة المكرمة (٣٤٤ كم) برّاً، كما تبعد عن مدينة جدة (٣٢٠ كم) جوّاً و(٣٣ كم) برّاً، وهي تقع تحديداً عند نقطة تقاطع خط طول (٥،٤١) درجة شرقاً بدائرة عرض (١٩،٨) درجة شمالاً^(١).

وتتميز بوقوعها على مرسى بحري طبيعي يتميز بشاطئ هادئ بجواره جزيرة قريبة جداً من الشاطئ، وهناك من يكثر الاعتقاد أن ذلك المرسى كان مستخدماً من قبل أن تقوم حوله مدينة القنفذة. وقد أطلق اسم القنفذة المعروف حالياً منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي حيث جاء اسمها صريحاً في حادثة مقتل قاضي مكة أبي السعود بن ظهيرة غريقاً في القنفذة بأمر من الشريف بركات عندما علم بخيانته، وكان ذلك في يوم الأحد (١٢/٢/١٠٧٠م)^(٢).

وقد اتخذت آنذاك قاعدة لتنفيذ العمليات الحربية والسياسية حينذاك إضافة إلى تبعيتها للحجاز، كما ورد ذكرها في سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م)، حيث خرج الشريف بركات من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة.^(٣) وقد تأخرت القنفذة عمرانياً واقتصادياً في النصف الأول من القرن العاشر بسبب التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية، غير أن سرعان ما عاد إليها نشاطها، فسميت (ببندر القنفذة) ومما

(١) الموسوعة الإلكترونية لجغرافية بلاد المملكة العربية السعودية

<http://www.kapl.org.sa/details.aspx?id=42#.WP7QfWfYrIU>.

(٢) ورود ذكر القنفذة في كتاب "غاية الأمان في أخبار القطر اليماني" ليحيى بن الحسين حيث أشار إلى حادثة خروج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة سنة (٩٨٠هـ)، وهذه الإشارة تدل على أن القنفذة، قد أصبحت موجودة قبل هذا التاريخ وقد ذكر البلاذري بأن نواة القنفذة كانت موجودة قبل عام (٩٨٠هـ)، إلا إنها لم تظهر بمسماها الحالي إلا في القرن التاسع الهجري .

(٣) جريس: غيثان، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق. ١٠-١٥هـ/ ق. ١٦-٢١م) دراسة تاريخية

حضارية، ط ١، مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ص ١٠٦.

تجدر الإشارة إليه هو قوة الاتصال بين القنفذة ومكة، وذلك حينما استخدم رضوان أغا الوسائط النقلية الموجودة في القنفذة والقادمة من جدة والمدينة، والتي تم من خلالها تنظيف مخلفات السيل الذي أدى إلى سقوط بعض جدران الكعبة، وكان ذلك التكليف من قبل والي مصر في القرن الحادي عشر سنة (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م)، ومما يؤكد تبعية القنفذة للحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري، ترجمة القاضي عبدالواحد الأنصاري التي جاء فيها أنه ((كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه)).

وينبغي أن ندرك أن القنفذة تستمد نفوذها السياسي والإداري من أمراء مكة المكرمة، حيث كانت تابعة لهم منذ نشأتها، وهذا الأمر ينطبق على بلدة القنفذة نفسها، وأما ما يخص المنطقة بمفهومها الواسع، فالأجزاء الداخلية منها والنواحي البعيدة عن الموانئ الرئيسية مثل : (دوقة، والقنفذة، وحلي، والبرك) كانت تآتمر في الدرجة الأولى برأي شيوخها وأعيانها، وكان يغلب عليها فقدان الأمن وانتشار الفوضى في أوطانها، وإذا كان هناك اتصالات وتحالفات بين أمراء مكة وسكان هذه البلاد، فغالباً عن طريق الشيوخ والأعيان فقط.^(١)

وقد دخلت القنفذة تحت ولاية شريف مكة المكرمة مع بداية تسلّم السلطان العثماني سليم الأول زمام السلطنة عام (٩٢٢هـ) وإقراره لشريف مكة بالولاية على مكة المكرمة في تلك السنة، وعندما بدأ محمد علي باشا حملاته على بلاد عسير استعمل القنفذة، كميناء يرسل جيوشه إليه عبر البحر من مصر الى ميناء القنفذة ومنها تتطلق حملاته البرية عام (١٢٢٩هـ/١٨١١م).

حيث لم تتمكن قوات محمد علي باشا، التي توجهت إلى القنفذة، من احتلالها؛ بسبب استئصال القائد السّعودي الأمير طامي بن شعيب المتحمي، واستيلائه على آبار الماء، فاضطر قائد الحملة إلى إخلاء الثغر، وفي عام (١٢٣١هـ/١٨١٦م) في

(١) جريس: غيثان، صفحات من تاريخ عسير، ج ١، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٩٤.

"معركة بسل" استولى محمد علي على بلاد عسير، وقضى على الأمير طامي بن شعيب، وامتد نفوذه شمالاً حتى سيطر على بلاد القنفذة.

وقد عانت القنفذة في مطلع القرن الرابع عشر الكثير من المتاعب بسبب التناحور الحربي بين تصارع القوى المحلية كأشراف مكة والسيد الإدريسي داخلياً، وكالعثمانيين وإيطاليا وبريطانيا خارجياً وبسبب الدور الخطير الذي لعبه موقعها في الحياة السياسية والحربية إبان تلك المرحلة الزمنية كونها بقيت قاعدة بحرية لحملات الدولة العثمانية وحلفائها من أشرف مكة المكرمة في الحروب والغزوات التي شنت على بلاد عسير، وخاصة في أيام النزاع الذي نشب بين السيد الإدريسي وبين العثمانيين بواسطة والي عسير سليمان شفيق باشا.

وقد قامت الدولة العثمانية بعد القضاء على مراكز آل عائض الرئيسية في أبها وما حولها عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، وسيطروا على أبها وقاموا بإنشاء إدارة مركزية في عسير أطلق عليها اسم (متصرفية عسير)، وضمت القنفذة إلى متصرفية عسير في ذلك العام والتي أصبحت تتبعها المنطقة الممتدة من زهران والقنفذة شمالاً إلى جازان وظهران الجنوب في بلاد قحطان جنوباً حوالي نصف قرن من الزمن (١٢٨٩هـ - ١٣٣٧هـ / ١٨٧٢م - ١٩١٨م).

وهناك من يذكر أنها عادت، ففصلت القنفذة عن عسير في عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م)، وأعادتها إلى تبعية ولاية مكة المكرمة . وقد نجد إشارة لـ (أ.د. / غيثان بن جريس) أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد، إلى أمر مهم هنا، فقد ذكر أن الأمور المالية في منطقة القنفذة كانت تتبع مالية أبها وبخاصة في الفترة (٩٥- ١٣٦٢هـ/٤٠ - ١٩٤٣م). وهنا لا نستطيع بالتحديد تعيين تاريخ دقيق، لذلك ولكن على الأغلب هو (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) .

الفصل الأول

نبذة عن تاريخ القنفذة السياسي

المبحث الأول: الأهمية التاريخية والسياسية للقنفذة :

لقد كان لموقع القنفذة على مصب وادي قنونا في البحر الأحمر أهمية خاصة، حيث مكنها هذا الموقع من أن تلعب دورًا تاريخيًا بارزًا، وقد كان لذلك الأمر أهمية خاصة إبان سلطة الأشراف في مكة في عهد الدولة العثمانية، وقد استفادت الدولة العثمانية فوائد كبيرة من استعمال موقع القنفذة الاستراتيجي كمركز مهم لشن الحملات التركية في زمن الحروب التي قامت ضد سراة عسير في أيام حملات محمد علي باشا ثم في أيام الدولة الإدريسية في صيبا، وأخيرًا في الحرب العالمية الأولى. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدينة قد تعرضت للكثير من المحن والمتاعب وخاصة في زمن حملات محمد علي باشا على عسير ومن ثم، تلا ذلك حملة الشريف حسين باشا بأمر من الدولة التركية لفك الحصار الذي ضربه السيد الإدريسي على سليمان شفيق باشا "متصرف عسير" في أبها، ولكن قد زالت كل تلك المحن والمتاعب عندما دخلت القنفذة تحت السيادة السعودية في عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه.

وإعلاننا نذكر أهميتها بنقاط رئيسة بارزة :

- ١- القنفذة بوابة اقتصادية رئيسة والتي منها وإليها تصدر ويرد معظم التجارات والسلع المختلفة التي عرفت بها تهامة والسراة الممتدة من منطقة عسير جنوباً إلى منطقة الباحة شمالاً.
- ٢- تعتبر القنفذة قاعدة أساسية للحملات والصراعات الداخلية التي تقع بين أشرف مكة أو ضد قوات معادية تأتي من جنوب منطقة القنفذة (اليمن وبلاد جازان وعسير).
- ٣- ميناء مهم لقوافل الحجاج، حيث يعتبر منفذاً رئيساً لأرض الحرمين يدخل منه حجاج جنوب جزيرة العرب وحجاج جنوب شرق آسيا مثل (الهند)^(١)

(١) المرجع السابق: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠_١٥ هـ / ق ١٦_٢١ م) دراسة تاريخية حضارية. ص ٣٣ - ٣٤.

المبحث الثاني: القنفذة بين التبعية لبلاد عسير وتبعيةها لمكة المكرمة :

أرادت الدولة العثمانية أن تخضع بلاد عسير تحت سيطرتها خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ففي عام (١٢٢٩هـ - ١٨١٤م)، نزلت قوات محمد علي باشا في ميناء القنفذة وعانت فيها فسادًا، فكانت تقطع رؤوس أهلها ثم تقطع آذانهم وترسلها إلى مصر دليلاً على انتصارها في عسير، وقد تصدى الأمير طامي بن شعيب المتحمي لهذه الحملات وقد قامت معركة بين رجال طامي وبين قوات محمد علي بعد أن سيطر طامي على موارد المياه في الآبار، وعندما حاولت قوات محمد علي الوصول إليها بالقوة حدثت معركة فاصلة انتهت بهزيمة قوات محمد علي هزيمة ساحقة إذ لم ينج من قوات محمد علي إلا القليل وحاول محمد علي تلافي الهزيمة وأرسل فرقة من الخيالة لنجدة القوة المهزومة إلا إن فرقة النجدة هُزمت هي الأخرى^(١).

وقد أثرت تلك الهزيمة في موقف محمد علي فقام ببعض المصالحات مع أهالي الحجاز عامة وعقد محادثات مع قبائلها^(٢) مما دفعه إلى القيام بقيادة حملة كبرى (معركة بسيل)^(٣) وقضاء على الأمير طامي بن شعيب، وقد تولى الإمارة في عسير "محمد أحمد المتحمي" إلا إن الأمر لم يستقر لمحمد علي، فبمجرد عودته إلى مصر، ثارت عسير بقيادة "محمد أحمد المتحمي" الذي قام بطرد الأتراك الذين خلفهم محمد علي فيها فقام محافظ مكة حسني باشا بإرسال قوتين إلى عسير إحداهما جاءت عن طريق القنفذة تحت زعامة "جمعة أغا" الذي كان هدفه إعادة بلاد عسير تحت نفوذ الدولة العثمانية^(٤).

(١) صحيفة عكاظ، بعد أن قطع الجيش رؤوس وآذان أهلها وأرسلها لمصر، القنفذة تطيح بقوات محمد علي باشا وتشهد هزيمتها للمرة الثانية، أحمد علي الكناني، السبت ٨/رجب/١٤٢٩هـ السبت ١٢ يوليو ٢٠٠٨.

(٢) المرجع نفسه .
(٣) العنزي: منال بنت محمد الرشيد، مدينة صيبا في عهد أسرة آل خيرات (١١٤١- ١٢٦٤هـ/١٧٢٨-١٨٤٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (رسالة ماجستير منشورة)، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص ٢٠.

(٤) عسيري: علي أحمد عيسى، عسير من (١٢٤٩- ١٢٨٩هـ/١٨٣٣- ١٨٧٢م)، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ١٣٠-١٣١.

وبعد جلاء جيوش محمد علي عن أرض الحجاز وعسير، قامت بعض الفتن في عسير في عام (١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م)، قام "محمد بن عون" بتسيير ابنه عبد الله الذي قام بإصلاح الأمور في عسير وعقد صلحا مع أهلها ثم سار "محمد ابن عون" على رأس جيش إلى اليمن وفتح مدنها واحتل صنعاء ورتب الأمور بالشكل الذي أراده العثمانيون. وقد ذكر عند (أ.د/ غيثان جريس) أن الشريف عبدالله بن عون كان يسعى دائماً إلى إشعال نار الفتنة بين العثمانيين والعسيرين. وقد بقيت بلاد القنفذة ميداناً للصراع بين الطرفين، وكان ذلك في سنة (١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م)، وبذلك خرجت القنفذة وبلاد عسير من سلطة محمد علي باشا المباشرة ودخلت القنفذة تحت التبعية المباشرة لشريف مكة، وبقيت عسير تحت التبعية المباشرة للدولة العثمانية إلى أن نقض الصلح ابن عائض أمير عسير في عام (١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م).^(١)

وبعد عام (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) استقر الحكم العثماني في عسير إلى عام (١٣٣٧هـ - ١٩١٩م) أي ما يقرب من (٤٨) سنة، حيث أقيم للحكم العثماني إدارة في عسير أطلق عليها اسم "متصرفية" واتخذت من مدينة أبها مقراً لها، وتقرر أن يتبع تلك المتصرفية ستة مراكز هي: (جيزان ومركزها صيبا)، و (محايل ومنطقة رجال المع ومركزها الشعيبين)، و (بلاد رجال الحجر ومركزها النماص)، و(بلاد غامد وزهران ومركزها رعدان) والقنفذة وكل مركز من هذه المراكز يسمى قائم مقامية وجميعها تراجع المتصرف في أبها وهو يراجعوالي العثماني المقيم في اليمن أو الحجاز، وأحياناً كان يراجع السلطان في استانبول. وقد عادت القنفذة الى ولاية شريف مكة بعد أن التحقت بمتصرفية عسير عام (١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م) وذلك في عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م)، حيث لم تدم في تبعيتها لمتصرفية عسير إلا أربعة وعشرين عاماً فقط، حيث تم تعيين الشريف "شنبر أميراً" على القنفذة من قبل أمير مكة آنذاك الشريف "عون الرفيق".

(١) مسفر: عبدالله بن علي، السراج المنير في سيرة امراء عسير، مؤسسة الرسالة، د.ت، ص ١٠٥.

المبحث الثالث: القنفذة بين متصرف عسير و محمد الإدريسي :

استولى محمد الإدريسي على بلاد صبيا ونواحيها في الفترة التي أصبح "سليمان شفيق باشا" حاكماً لعسير عام (١٢٢٦هـ/١٩٠٨م) وبدأ نفوذه يتزايد،^(١) وصار متصرف عسير (سليمان شفيق) يخشاه ويحذر الأتراك من تنامي قوته، ومن ثم أقنع العثمانيين بإرسال قوة إلى عسير وجازان كي توقف الإدريسي عن التوسع لو فكر القيام بثورة ضدها فأرسلوا قوة قوامها (٣٠٠٠) مقاتل نزلت في ميناء القنفذة، وكانت رغبة متصرف عسير لو أنها قدمت إلى ميناء جازان حتى تكون قريبة من نشاطات الإدريسي السياسية ولكن الإدريسي استطاع أن يقنع الأتراك بعدم جدوى الحملة التي استقرت في القنفذة وعدم صحة ما ذكر عن طموحاته وخطورتها على العثمانيين. وفي عام (١٣٢٩هـ-١٩١١م) قام "محمد بن علي الإدريسي" بحصر متصرف لواء عسير سليمان باشا لمدة عشرة أشهر، فانتدبت الدولة العثمانية شريف مكة حسين بن علي باشا لفك الحصار عن سليمان باشا فوصل حسين باشا إلى القنفذة عن طريق البر وقابلته قوة تركية عن طريق البحر، وقد نقل لنا تفاصيل تلك الرحلة في "مذكرات سليمان شفيق باشا"^(٢) وإن من المناسب ونحن نتحدث عن دور السيد محمد الإدريسي أن نشير إلى الدور الإيطالي^(٣) الذي من خلاله تم الاتفاق بين إيطاليا وبين السيد الإدريسي في صبيا بمساعدته واعترفت له بالسيادة على تهامة من القنفذة شمالاً حتى ميناء اللحية جنوباً وتعهدت بحمايته من أي اعتداء خارجي وذلك لمساعدته بضرب القوات العثمانية على الساحل الشرقي المقابل لجزيرة سواكن وهو ساحل القنفذة طبعاً.

(١) شاكر: محمود، شبه جزيرة العرب (عسير)، ط، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) العقيلي، محمد بن أحمد، مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، ص ٧١.

(٣) للمزيد عن هذا الدور انظر: الوجيه، عبدالرحمن محمد حمود، عسير في النزاع (السعودي- اليمني)، ص ٤٨.

وبالفعل تم ذلك، فقامت البوارج الإيطالية بضرب السفن العثمانية بالقرب من ميناء القنفذة، مثل (ميناء القحمة، وميدي، والبرك، والحديدة)،^(١) حيث تعرضت السفن العثمانية لضرب البوارج الإيطالية لها ولا تزال بقايا السفن العثمانية غارقة في البحر بالقرب من القنفذة إلى يومنا هذا منذ عام (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)؛ وذلك لأن الحرب العالمية الأولى عندما اندلعت نيرانها وتكالت فيها الأعداء وتقاطعت المصالح، أوجدت الكثير من التداخلات السياسية.

وبعد انقطاع العلاقات فجأة بين الإدريسي وإيطاليا والتي قد يكون بسبب تخلي إيطاليا عن مساعدة الإدريسي جعله يعقد صداقة مع بريطانيا كي تحميه وتدافع عنه وإبرام معاهدة رسمية معها عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) وجددت عام (١٣٣٦هـ/١٩١٧م).^(٢)

وقد نجح الإدريسي في استيلاء على القنفذة بمساعدة بريطانيا مما تسبب مشكلة بينه وبين الشريف حسين عُرفت هذه المشكلة بأزمة القنفذة، وقد قرر الشريف حسين أن يستولي على القنفذة بأي طريقة سلماً أو حرباً فأخطر بريطانيا بذلك، وهدد بوقف عملياته ضد العثمانيين إن لم تستجب بريطانيا لطلبه، وهنا وجدت بريطانيا نفسها في ورطة. حيث عرضت على الإدريسي رغبة الحسين في استعادة القنفذة سلماً أو حرباً وأنها لا تؤيد الحرب وعرضت على الإدريسي أن يجلي قواته من القنفذة ذلك عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) وقد رفض الإدريسي ذلك الأمر وأصر على موقفه متحدياً الشريف حسين باشا، لكن مارست بريطانيا ضغوطها عليه انتهت بتسليم القنفذة للشريف حسين باشا وخروج القوات الإدريسية منها.^(٣)

(١) للمزيد انظر: البركاتي، شرف عبدالمحسن، الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، الوراق للنشر، ص ١١٢ - ١١٧.

(٢) النعمي: هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٢٤.

(٣) للمزيد انظر: العقيلي، محمد بن أحمد، مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، ط١، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٥٠ - ٧٣.

الفصل الثاني

القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - .

المبحث الأول: انضمام القنفذة تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود-

رحمه الله:-

أصبح الإدريسي بين عدة قوى محلية ترغب في السيطرة على بلاد تهامة، فإمام اليمن يرى أنها جزء من بلاده، والأشراف في مكة يعتبرون تهامة حتى بلاد القنفذة وما جاورها جزءاً من الحجاز، وآل عائض في عسير يرون أنها تتبع إمارتهم في أربها.^(١)

عندئذ قام محمد الإدريسي بمكاتبة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وعقد معاهدة صداقة بينهما عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، وتم ترسيم الحدود بين الطرفين ثم توفي بعد ذلك السيد محمد الإدريسي عام (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) وخلفه في السلطة نجله علي بن محمد، فثار عليه سكان تهامة وبايعوا عمه الحسن بن علي الإدريسي. ومما لاشك فيه ان كان هناك توتر أصاب العلاقات بين الشريف حسين والملك عبد العزيز عندما منع الأول أهل نجد من الحج لأسباب سياسية، فقرر الملك عبد العزيز دخول مكة للحج ولو بالقوة، وتم ذلك وتنازل الملك حسين عن الملك لأكثر أنجاله الملك علي الذي انتقل إلى جده وحاصره الملك عبد العزيز، وأقام معسكراً لذلك الغرض في أبرق الرغامة شرق جده إلى أن سلم الملك علي جدة وتنازل عن الملك ورحل بعد أن ضمن الملك عبد العزيز سلامته وحقوق وأملاك الأشراف الخاصة في مكة.

في هذه الأثناء، كان يدرك الملك عبد العزيز أهمية ميناء القنفذة، وقد ذكر فؤاد حمزة صاحب مصنف "قلب جزيرة العرب" أن الملك عبد العزيز أنفذ نجله فيصل على رأس قوة كبيرة من الإخوان في شهر شوال (١٣٤٠هـ) يونيو (١٩٩٢م).

(١) مرجع سابق، شبه جزيرة العرب (عسير)، ص ٢٤٥.

وتمكن من فتح حرمة حصن ابن عائض الحصين وشتت شمل قوات بن عائض .. إلى أن قال: ((وتم بذلك الاستيلاء على منطقة عسير السراة حتى حدود اليمن من الجنوب وحدود الإدريسي من الغرب حتى القنفذة وديار غامد وزهران في الشمال)).

واستمرت سيطرة الملك عبد العزيز تسير بالتدرج إلى أن تمت محاصرة الشريف علي بن الأمير حسين باشا في جدة بعد أن دخلت القوات السعودية أرض الحجاز، وعندما كان الملك عبد العزيز معسكرًا في ابرق الرغامة، أرسل وفدًا من عسير برئاسة محمد بن عجاج وتركي بن ماضي لاستلام على ميناء القنفذة من الشريف عبد الله بن حمزة والي القنفذة من قبل شريف مكة، ولم يلق الوفد أي مقاومة تذكر، حيث سلم الشريف عبد الله بن حمزة بالأمر الواقع وغادر القنفذة دون أن يتعرض لأي إيذاء بعد أن سلم كل ما بعهدته ورحل في غرة ربيع الثاني (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م).

وفي عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) عقدت معاهدة بمكة المكرمة بين الملك عبدالعزيز آل سعود والسيد الحسن الإدريسي بمقتضاها تنازل الإدريسي عن كافة شؤون إمارته لابن سعود،^(١) الذي نصبه حاكمًا عليها من قبله، وأمر بتشكيل مجلس شورى لمساعدته ينتخب رجاله من أهل الحل والعقد على أن تكون الأحكام والحدود الصادرة منه طبقاً للشرع الشريف، وأما الجوانب الخارجية والحفاظ على حدود البلاد، فكانت من اختصاص الملك عبدالعزيز -رحمه الله- .

وعلى الرغم مما بذله ابن سعود للسيد الحسن الإدريسي من مساعدات مادية ومعنوية، فقد عجزت حكومته المحلية عن إدارة الأمور وجباية الأموال، فاضطر الإدريسي في (١٧ جمادى الأولى) عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)^(٢) إلى التنازل عن إمارته، ورفع برقية إلى ابن سعود قال فيها: "ونقرر بموافقتنا ورضانا إسناد البلاد وماليتها إلى عهد جلالكم"^(٣) ولكن الحسن الإدريسي لم يستقر على هذا القرار، وأعلن

(١) مرجع سابق: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) المرجع السابق، السراج المنير في سيرة أعلام عسير، ص ١١٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ١١٦.

العصيان على الملك عبدالعزيز آل سعود في صيف (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)^(١) فتصدت له القوات السعودية، واستعادة زمام الأمور، وهرب الإدريسي مع عائلته إلى اليمن، وبقي هناك حتى عفا عنه الملك عبدالعزيز، ثم عاد وعائلته كي يعيشوا تحت رعاية الملك عبدالعزيز.

فهكذا، كانت سياسة الملك عبد العزيز، فهو لم يكن يبحث عن التنكيل وسفك الدماء بل كان يبحث عن الصفح وحفظ الحقوق وإرساء قواعد الشرعية الصحيحة؛ لأنه كان يسعى إلى بناء كيان، ولم يكن يبحث عن تيجان وصولجان، وقد تم تعيين محمد بن عجاج أميراً على القنفذة وعين تركي بن محمد بن ماضي وكيلا للمالية. كما قد ذكر برواية أخرى أن أول أمير عين للقنفذة في عهد الملك عبد العزيز كان اسمه مساعد بن سويلم وليس محمد بن عجاج، ويذكر أيضاً أنه كان عبدالله بن حمزة الفعر.

وقد أصبح ميناء القنفذة ميناء سعودياً في (١٤/٧/١٣٤٣هـ - ٨/٢/١٩٢٥م)^(٢) وفي نفس الوقت طلب الملك عبد العزيز إرسال المواد الغذائية من ميناء القنفذة للجيش السعودي الذي يحاصر جده وقال الملك عبد العزيز كلمته الشهيرة: "ميناء القنفذة هو ميناء الوطن" وقد كان يوجد في ميناء القنفذة أكبر أسطول تجاري يبلغ عدد سفنه (١٢) سفينة تجارية تقدر حمولة الواحدة منها بألف طرد من المنتجات المحلية .

^(١) المرجع السابق، عسير في النزاع (السعودي_اليمني)، ص ١٠٩.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الدراسة، بالإمكان التوقف عند بعض النتائج المهمة التي توصلت إليها، ومنها ما يلي :

١- أطلق اسم القنفذة المعروف حالياً منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي، حيث جاء اسمها صريحاً في حادثة مقتل قاضي مكة أبي السعود بن ظهيرة غريقاً في القنفذة بأمر من الشريف بركات عندما علم بخيانتة تاريخ (١٢/٢/٩٠٧م) .

٢- تأخرت القنفذة عمرانياً واقتصادياً في النصف الأول من القرن العاشر؛ بسبب التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية، غير إن سرعان ما عاد إليها نشاطها فسميت (ببندر القنفذة) .

٣- القنفذة تستمد نفوذها السياسي والإداري من أمراء مكة المكرمة، حيث كانت تابعة لهم منذ نشأتها، وهذا الأمر ينطبق على بلدة القنفذة نفسها، وأما ما يخص المنطقة بمفهومها الواسع، فالأجزاء الداخلية منها والنواحي البعيدة عن الموانئ الرئيسة مثل: (دوقة، والقنفذة، وحلي، والبرك) كانت تأنمر في الدرجة الأولى برأي شيوخها وأعيانها .

٤- قامت الدولة العثمانية بعد القضاء على مراكز آل عائض الرئيسة في أبها وما حولها عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) وسيطروا على أبها، وقاموا بإنشاء إدارة مركزية في عسير أطلق عليها اسم (متصرفية عسير) وضمت القنفذة إلى متصرفية عسير في ذلك العام .

٥- فصلت القنفذة عن عسير في عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) وأعادتها إلى تبعية ولاية مكة المكرمة .

٦- يعد موقع القنفذة على مصب وادي قنونا في البحر الأحمر ذا أهمية خاصة، حيث مكنها هذا الموقع من أن تلعب دوراً تاريخياً بارزاً، وقد كان لذلك الأمر أهمية خاصة إبان سلطة الأشراف في مكة في عهد الدولة العثمانية وتعتبر ميناء مهم لقوافل

الحجاج، حيث يعتبر منفذاً رئيساً لأرض الحرمين يدخل منه حجاج جنوب جزيرة العرب وحجاج جنوب شرق آسيا مثل (الهند).

٧- استولى محمد الإدريسي على بلاد صيبا ونواحيها في الفترة التي أصبح "سليمان شفيق باشا" حاكماً لعسير عام (١٢٢٦هـ / ١٩٠٨م) .

٨- مارست بريطانيا ضغوطها على لإدريسي، وانتهت بتسليم القنفذة للشريف حسين باشا وخروج القوات الإدريسية منها عام (١٣٣٤هـ / ١٩١٥م) .

٩- قام محمد الإدريسي بمكاتبة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وعقد معاهدة صداقة بينهما عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) وتم ترسيم الحدود بين الطرفين .

١٠- تم في عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، عقدت معاهدة بمكة المكرمة بين الملك عبدالعزيز آل سعود والسيد الحسن الإدريسي بمقتضاها تنازل الإدريسي عن كافة شؤون إمارته لابن سعود .

١١- الحسن الإدريسي أعلن العصيان على الملك عبدالعزيز آل سعود في صيف (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، فتصدت له القوات السعودية، واستعادة زمام الأمور، وهرب الإدريسي مع عائلته إلى اليمن، وبقي هناك حتى عفا عنه الملك عبدالعزيز ثم عاد وعائلته كي يعيشوا تحت رعاية الملك عبدالعزيز .

١٢- اندرجت منطقة القنفذة بشكل مباشر بعد امتداد الحكم السعودي إلى كل من عسير (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) والحجاز (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، حيث أوجد الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - لها نظام إداري ومالي بعيد عما كانت تعاني من صراعات ونزاعات .

١٣- أصبح ميناء القنفذة ميناء سعودياً في (١٣٤٣هـ/٧/١٤ - ١٩٢٥م/٢/٨) وأصبح يرسل منه المواد الغذائية من ميناء القنفذة للجيش السعودي الذي يحاصر جدة.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية :

- ١- البركاتي، شرف عبدالمحسن، الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، الوراق للنشر، د.ت .
- ٢- جريس: غيثان، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠-١٥هـ / ق ١٦-٢١م) دراسة تاريخية حضارية، ط١، مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .
- ٣- جريس: غيثان، صفحات من تاريخ عسير، ج١، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٤- الوجيه، عبدالرحمن محمد حمود، عسير في النزاع (السعودي- اليمني) د.ت.
- ٥- عسيري: علي أحمد عيسى، عسير من (١٢٤٩-١٢٨٩هـ / ١٨٣٣-١٨٧٢م)، الرياض، ١٤٠٤هـ .
- ٦- مسفر: عبدالله بن علي، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- ٧- العنزي: منال بنت محمد الرشيد، مدينة صيبا في عهد أسرة آل خيرات (١١٤١- ١٢٦٤هـ / ١٧٢٨- ١٨٤٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٧-٢٠٠٨م.
- ٨- شاكر: محمود، شبة جزيرة العرب (عسير)، ط١، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ٩- العقيلي، محمد بن أحمد، مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير) ، د.ت.
- ١٠- العقيلي، محمد بن أحمد، مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، ط١، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- ١١- النعمي: هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

ثانياً: الدوريات والمجلات والصحف:

- ١- صحيفة عكاظ، بعد أن قطع الجيش رؤوس وأذان أهلها وأرسلها لمصر، القنفذة تطيح بقوات محمد علي باشا وتشهد هزيمتها للمرة الثانية، أحمد علي الكنانى، السبت ٨ رجب ١٤٢٩هـ/ السبت ١٢ يوليو ٢٠٠٨م.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية :

- ١ - الموسوعة الإلكترونية لجغرافية بلاد المملكة العربية السعودية
<http://www.kapl.org.sa/details.aspx?id=42#.WP7QfWfYrI> U